

دلائل الإعجاز

في الصِّلة ازدادَ الاشتباكُ والاقترانُ حتى لا يتصورَ رُ تقديرُ إفرادٍ في أحدهما عن الآخرِ وذلك في مثلِ قولِكَ : العَجَبُ من أني أحسنتُ وأسأتُ ويكفيكَ ما قُلْتُ وسمعتُ وأحسُنُ أن تنهَى عن شيءٍ وتأتِي مثلهُ وذلك أنه لا يشبهُ على عاقلٍ أنَّ المعنى على جعلِ الفرعَينِ في حكمِ فعلٍ واحدٍ . ومنَ البيِّنِ في ذلك قولُهُ : .
(لا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّذُونَا وَتُكْرِمَكُمُ ... وَأَنْ تَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا) .

المعنى : لا تطمعوا أن تروا إكرامنا وقد وُجدَ مع إهانَتِكُم وجامَعَهَا في الحصولِ .
وممَّا له مأخذٌ لطيفٌ في هذا البابِ قولُ أبي تمام - الطويل - : .
(لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا ... وَنَذْكُرَ بَعَضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتُفْضِلَا) .

وأعلمُ أنه كما كان في الأسماءِ ما يَصِلُهُ معناهُ بالاسمِ قبلَه فيستغني بصله معناهُ له عن واصلٍ يصلُّه ورباطٍ يربطُّه وذلك كالمَصِّفَةِ التي لا تحتاجُ في اتِّصالِها بالموصوفِ إلى شيءٍ يصلُّها به وكالتأكيدِ الذي يَفْتَقِرُ كذلك إلى ما يصلُّه بالمؤكدِ - كذلك يكونُ في الجملِ ما تتصلُّ من ذاتِ نفسها بالتي قبلها وتَسْتَغْنِي بربطِ معناها لها عن حَرَفِ عطفٍ يربطُّها وهي كلُّ جملةٍ كانت مؤكَّدةً للتي قبلها ومبيِّنَةً لها . وكانت إذا حُصِّلَتْ لم تكن شيئاً سِوَاهَا كما لا تكونُ الصفةُ غيرَ الموصوفِ والتأكيدُ غيرَ المؤكدِ . فإذا قلتَ : جاءني زيدُ الطريفُ وجاءني القومُ كلُّهم لم يكنِ الطريفُ وكلُّهم غيرَ زيدٍ وغيرَ القومِ .

ومثالُ ما هو من الجملِ كذلك قوله تعالى (آلم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) .
قولُهُ (لَا رَيْبَ فِيهِ) بيانٌ وتوكيدٌ وتحقيقٌ لقولِهِ : (ذَلِكَ الْكِتَابُ) وزيادةُ تثبُّيتٍ له وبمنزلةِ أنْ تقولَ : هو ذلك الكتابُ هو ذلك الكتابُ فتعيده مرةً ثانيةً لتثبُّيتِهِ . وليس تثبُّيتُ الخبرِ غيرَ الخبرِ ولا شيءٌ يتميِّزُ به عنه فيحتاجُ إلى ضامٍّ يَضُمُّهُ إليه وعاطفٍ يعطِفُهُ عليه . ومثلُ ذلك قولُهُ تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَهُمْ أَذْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) .
خَتَمَ اللَّهُ